قضية الأحداث

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الأصالة والمعاصرة

35

قضية الأحداث

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه
بجامعة دمشق - كلية الشريعة

دار المكتبي

الطبعة الأولى
1418 هـ - 1998 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذا بحث في قضية الأحداث في النصف الثاني من القرن العشرين وأحوالهم ، والإجراءات اللازمة لحمايتهم في المستقبل ، في القرن الحادي والعشرين[1] .

تكمن أهمية هذا البحث من جانبين :

الجانب الأول : ظروف النصف الثاني من القرن العشرين الذي مرَّ في شطره الأول بالحرب الباردة بين الغرب والشرق ، وانتهى بعد زوال تلك الحرب إلى ما سمي بالنظام العالمي

---

(١) قدم إلى الدورة الحادية عشرة لمؤسسة آل البيت في عمَّان عام ١٩٩٧م .

الجديد ، وهيمنة أمريكا التي يتبعها الغرب الأوربي في الاتجاهات المصلحية الحيوية ، وأعقب ذلك ظهور الانقسامات والمصادمات الداخلية ، ووجود هزات عنيفة بزعامة قيادات الرفض والتحدي ، مما عقَّد الأوضاع ، وأدى لرد الفعل المعاكس والتوترات الاجتماعية ، وتعريض الأحداث لمشكلات كثيرة بسبب الاعتقال والسجن والتهجير التي تعرضت لها الأسر والعائلات ، وغياب رب الأسرة عن الساحة العائلية .

والجانب الثاني : أن محور قضية الأحداث في مواجهة محور قضية الأطفال ، أدى بالمقارنة والتأمل إلى أن طور الحداثة أخطر أطوار الإنسان ، باعتباره على حافة أو مفترق طرق الحياة ، إما حياة الاستقامة والاستقرار والاطمئنان ، وإما حياة الانحراف والشقاوة والاضطراب والقلق .

معنى الحداثة وأسباب رعاية الأحداث :

الحداثة في اللغة : تعني الفتوة وحداثة السن ، وفي العرف : هي مرحلة الصغر منذ الولادة ، حتى النضج الاجتماعي والنفسي واكتمال عنصر الرشد والإدراك . وفي

لاصطلاح القانوني : هي فترة التمييز والبلوغ والمراهقة وبداية الرشد . والحدث : كل ذكر أو أنثى لم يتم سن الثامنة عشرة في أغلب القوانين العربية والأجنبية ، أو لم يبلغ إحدى وعشرين سنة في بعض القوانين كالقانون المصري والأمريكي .

فسن الحدث يبدأ من سن السابعة ، وينتهي باستكمال الثامنة عشرة ، وهذا هو المراد في هذا البحث ، خلافاً لما يريده اللغويون من عموم وإطلاق ، ويذكره الفقهاء من تسمية ما قبل الخامسة عشرة باسم المراهقة .

والأحداث بداهة : هم عدة المستقبل ، وجيل الغد ، وبناة الحياة الوطنية والإنسانية ، لذا كانوا في أمسّ الحاجة إلى التربية والتوجيه ، والرعاية والتقويم ، ليصيروا أقوياء الأجساد والعقول ، أصحاء الأخلاق والسلوك ، وتتحصن شخصياتهم تحصناً متيناً من أي انحراف وانزلاق ، وتشردا وضياع ، فتضيع ثروة كبيرة ، يصعب تعويضها أو تدارك خسارتها .

ومن المعلوم أن بناء الجسد وحده للطفل ليس كما يظن بعض الوالدين كافياً ، وإنما لابد من البناء العَقَدي والديني

والاجتماعي ، والأخلاقي والعاطفي ، والنفسي ، والعلمي والفكري ، والجسمي ، والجنسي ، والصحي ، فإذا تكاملت عناصر البناء المادي والمعنوي هذه ، تحقق وجود البناء المتماسك الذي لا يتصدع على الدوام ، ويكون محمياً من الداخل ضد عاديات الزمان ، ومحاولات الشدّ والجذب .

وتقع المسؤولية الأولى في إيجاد مقومات هذا البناء وتحصيناته الثوابت على الأبوين والأسرة ، ثم المدرسة والمجتمع ، والدولة ، لأن التربية الناجحة والمؤثرة هي تربية الأبوين ، أما المدرسة أو المجتمع فلم يعودا محل الثقة والأمل في إيجاد النشء الصالح ، وأما الدولة في عصرنا فهي مَعْنية أولاً بالمشكلات الأمنية والسياسية والاقتصادية ، في الخارج والداخل ، بل إن كثرة الأحداث ، وتأمين مطالبهم فاقت التوقعات والإمكانات أحياناً ، ولم نجد في وسائل الإعلام المعاصرة ما يكفي لعلاج قضايا الأطفال والأحداث ، واقتصر دور منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) على الإسهام في علاج المجاعات الكثيرة الوقوع في بعض الدول الإفريقية والآسيوية ، بسبب الجدب أو الصراعات والحروب الداخلية .

المطلب الأول ـ مشكلات الأحداث المعاصرة :

الولد الحدث أمانة كبرى عند الوالدين ، والمجتمع ، والدولة ، وحمل هذه الأمانة ثقيل ، والتفريط بالولد يوجب تحمل المسؤولية ، والمسؤولية ذات شقين : في الدنيا والآخرة ، قال النَّبي ﷺ : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في مال أبيه ، وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته »[1] .

هذه المسؤولية تقتضي الممارسة والمراقبة والوقاية من المشكلة قبل وقوعها ، لأن عواقبها وخيمة ، وتتطلب الحذر الشديد ، قبل فوات الوان ، وقبل الوقوع في مرارة الندم من

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والشيخان (البخاري ومسلم) وأبو داود والترمذي عن ابن عمر .

غير جدوى ، فما أشقى الأبوين والأسرة إذا تعرض الحدث للخسارة ، وما أظلم المجتمع الذي يفتقد الإحساس بالرحمة والمسؤولية ، ولا يهم بعض أفراده إلا تحقيق المصلحة الذاتية ، وما أضعف الدولة وأشدها تخلفاً وضياعاً وانهياراً إذا لم تقم بواجباتها في إنقاذ مئات أو آلاف الأطفال من السقوط في زوايا الفساد ، والأذى ، والاستغلال الرخيص ، ولم تقدّم لهم ما يحميهم من إساءة الكبار إليهم ، وخيانة الخائنين لأبناء أمتهم وغراس مستقبلهم .

وأدى إهمال بعض الأحداث إلى مشكلات كثيرة ، سواء في الأرياف أو المدن ، أما في الأرياف فمنشأ المشكلة هو الجهل ، وسوء الأحوال المعيشية ، والانحرافات الدينية ، والأخلاقية .

وأما في المدن فللمشكلة منحى آخر : وهو تشرد الأحداث ، وإغراؤهم بالمال والترف لإشراكهم في تكتلات وصراعات مسلحة ، وتشغيلهم في ظروف عمالية سيئة المناخ والوسط ، بما فيها من شيوع المخدرات والمسكرات في صفوفهم ، والإساءة إليهم جسدياً في الحاضر والمستقبل ، وإغراؤهم بتعاطي بعض الفواحش والرذائل الخلقية ، مع

ضعف رقابة الدولة ، وفقر الخدمات التي تقدمها ، وإهمال التعليم ، واستعجال المكاسب المادية ، وفقدان وسائل الترفيه الحر الشريف ، وانعدام معسكرات اللهو الموجه الهادف ، وقلة المراكز الاجتماعية الثقافية ، والرياضية ، وانتشار أفلام الجنس والصور العارية ، وعرض الأفلام المثيرة والمحطمة لكيان الحدث في آن واحد ، فلا يجد الأحداث أمامهم سوى الوسائل الشاذة .

أسباب انحراف الأحداث في النصف الثاني من القرن العشرين :

هناك أسباب أو عوامل أساسية خمسة وراء انحراف الأحداث في عصرنا الحاضر[1] :

أولاً ـ العوامل الاجتماعية :

إن البيئة الاجتماعية المنحرفة كثيراً ما تكون سبباً مؤثراً واضحاً في سلوك الأولاد ، حيث يتأثرون في أثناء اللعب

---

(١) الرعاية الاجتماعية للأحداث والجانحين للعقيد أحمد محمد كرّيز : ص ١٧٢ـ٢٤٦ .

وقضاء أوقات الفراغ والتسلية برفاق السوء من أبناء الحارة أو الجيران ، سواء من سن متماثلة ، أو باستغلال بعض الكبار براءة الولد وسذاجته ، وإما بالإغراء وإظهار العطف وحب المساعدة لتحصيل بعض المتع الذاتية كالمال والطعام ، وإما بوسائل الإكراه المادي والأدبي ، وقد دلت الإحصاءات أن جنوح الأحداث بسبب رفاق السوء بلغت ١٠٪ من مجموع الجانحين .

لذا حذر النَّبي ﷺ من صحبة الأشرار ، وجلساء السوء ، ورفاق الفساد ، فقال : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[١] ، ثم وصف النَّبي ﷺ مدجى تأثير الصحبة ، فقال : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كمثل صاحب المسك ، وكِيرِ الحداد ، لا يَعدِمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك ، أو تجد منه ريحاً خبيثة »[٢] . ثم نهى النَّبي ﷺ عن

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه عن أبي بن كعب ، وفي رواية ابن عساكر : « إياك وقرين السوء فإنك به تُعرَف » .

(٢) أخرجه أبو البخاري عن أبي موسى .

صاحب السوء ، فقال : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي »[1] .

كل هذا يدل على أن للبيئة الفاسدة والصحبة الفاجرة أثرها الأكبر في الإغواء والإفساد[2] .

ثانياً ـ العوامل الأسرية :

هذه ذات تأثير مباشر ومصاحب ودائم ، فالولد اين أسرته حسناً وقبحاً ، استقامة وانحرافاً ، وتتعدد مظاهر تأثير الأسرة ، إما في سوء التربية والتوجيه المنزلي ، وإما في الانحلال أو الانحراف الخلقي ، وانحراف أحد الوالدين أو كليهما مما يؤثر على الأولاد ذكوراً وإناثاً ، وإما في تفكك الأسرة لقسوة الأب ، أو لفقد أحد الأبوين أو كليهما ، أو لإيقاع الطلاق أو تعدد الزوجات غير المدروس ، أو الهجر أو نحو ذلك ، أو لسوء معاملة الأبوين للولد من تحقير

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري .

(٢) تربية الأولاد في الإسلام ، للأستاذ عبد الله علوان ١/ ٥٣٤ـ٥٣٥ .

وازدراء ، أو تشهير وسخرية ، مما قد يؤدي إلى الانتحار أو ترك البيت نهائياً والالتفاف حول عصابة سيئة ، أو تشرد وضياع ، أو الشجار مع الأبوين ونحو ذلك[1] .

وقد بلغت نسبة المنحرفين بسبب تفكك الأسرة ٢٩٪ .

ثالثاً ـ العوامل الثقافية والإعلامية :

اتخذت الثقافة والتربية والإعلام منحى بعيداً إلى حد ما عن إعداد النشء أو الأحداث والجيل إعداداً صالحاً ينسجم مع متطلبات الدين والأخلاق . وعنيت هذه الجوانب بمؤسساتها المختلفة بالنواحي الوطنية والأمنية ، مما جعل أطفالنا ، إما في متاهة ، وإما في ضياع ، وإما في تعقيدات نفسية غريبة .

وأهملت المقومات الدينية والخلقية والعبادية التهذيبية ، وقد دلت الإحصاءات الأمريكية والأوربية على ندرة الإقبال على دور العبادة بين الأحداث والشباب ، مما يؤكد أهمية التربية الدينية والتثقيف الديني في بناء الفرد والمجتمع ، بدءاً

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام للأستاذ عبد الله علوان ١/١١٢ـ١١٥ ، ١٢٦ ، ٣٣٥ .

من مرحلة الصغر التي يمكن صقلها وغرس بذور الخير في أبنائها وهم في لين وطراوة ، وقابلية سريعة للإصلاح ، والتحذير من الانحراف . ولم تعد المدارس بيئة تربوية سليمة الاتجاهات ، فقد تسوء العلاقة بين الحدث وبعض المربين أو الزملاء ، وقد يحسّ الولد بضعفه في التحصيل ، فيدفعه إلى الهرب من المدرسة أو سلوك جادة الانحراف .

وقد تسهم بعض وسائل الإعلام من الصحف والمجلات والكتب وبخاصة الأجنبية ، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والأشرطة المعروضة ، والسينما والمسرح ، تسهم كلها في تعليم أساليب الإجرام ، أو المغامرات ، أو الإغراق في الخيالات والأساطير ، أو ترويج الأفكار التي تمس الدين والأخلاق والقيم النبيلة . ودلت الإحصاءات بين عامي ١٩٦٥ـ١٩٧٦ م أن نسبة ٣٦,٧٪ من الأحداث الجانحين يقضون أوقات فراغهم في دور السينما .

ومما زاد الطين بلّة كثرة وسائل البث التلفازي والمحطات المعتمدة على الأقمار الصناعية ، والتي تعرض الأفلام المخلة بالأخلاق والشرف والكرامة الإنسانية ، حتى إن الأفلام الأمريكية والأوربية غزت المنطقة العربية والإسلامية ،

وبخاصة في دول الخليج العربي ، وأصبحت خطراً على الأولاد والشباب .

وأما برامج الصغار وبعض برامج الكبار ، فإنها تبث روح التربية الغربية ، وتروج التقاليد الأجنبية ، وترغب بالحفلات والأندية الغربية ، وهي ما تدعو إما إلى العنف والصراع ، أو إلى العقائد الوثنية ، أو إلى تمييع الأخلاق والانخراط في مسلسلات الاختلاط غير البريء ، أو الحب والغرام المدمر .

رابعاً ـ العوامل الاقتصادية :

العامل الاقتصادي وبخاصة في البلدان النامية ، ومنها العربية والإسلامية من أهم عوامل انحراف الأحداث في الأرياف والمدن ، ولجوئهم إلى البحث عن الموارد المالية غير الشريفة ، أو الخطيرة ، حيث تستغلهم الجماعات أو العصابات الإرهابية ليقوموا بالفتن الداخلية العمياء ، وأداء أدوار مثيرة للعجب في الصراعات المسلحة مع الدول أو غيرها ، وإذا انزلق الحدث في متاهات العصيان أو الإرهاب ، فقد كل المقومات الكريمة ، واستغله الآخرون استغلالاً رخيصاً أو مهيناً ، مما يوجب على الدولة التدخل

لحماية هؤلاء الأحداث المغرَّر بهم ، وإنقاذهم من ورطة الأعمال التي يمارسونها دون أن يدركوا أبعادها أومخاطرها ، ثم تقوم بتوظيفهم أو تشغيلهم بما يحفظ لهم كرامتهم بعيش كريم .

ومظاهر العوامل الاقتصادية كثيرة :

أ ـ الفقر والحرمان وسوء التغذية : من المعلوم أن الحدث الذي لا يجد في البيت ما يكفيه من غذاء وكساء ودواء ، ويعتصره الألم والحرمان والجهد ، سيلجأ حتماً إلى ترك المنزل بحثاً عن أسباب العيش ، فتتلقفه أيدي السوء والإجرام ، وتحيط به هالة الشر والانحراف ، فينشأ في المجتمع مجرماً ، ويكون خطراً على الأنفس والأموال والأعراض ، أو يصبح على الأقل ضعيف الشخصية ضعفاً تنمو معه الاتجاهات المنحرفة ، وقد بلغت نسبة المنحرفين في بعض عواصم الدول العربية بسبب الفقر والحرمان ٧٢,٧٪ بالنسبة لباقي عوامل الانحراف ، وهذه النسبة في ازدياد مستمر ، وتتراوح الزيادة بنسبة ١١,٣٪ في الخمسينات ، وصارت بنسبة ٢٩,١٪ في الستينات .

ب ـ اليتم وسوء الأحوال السكنية : يقترن اليتم أحياناً

بالفقر ، ويعد عاملاً خطيراً في انحراف الولد النفسي ، وبخاصة إذا كان اليتيم في بيئة لا ترعاه ، ولا تنظر إليه بعين العطف والرحمة والمحبة ، وفي وسط يتبرم منه ، فيتقاذفه الأقارب يمنة ويسرة .

وأثبتت الدراسات أن حالات انحراف الأحداث تزداد في الأحياء الفقيرة والمحرومة ، والمساكن المزدحمة أو غير الصحية ، التي يعاني سكانها من نقص الرعاية الصحية ، والبيئة المناخية المناسبة ، وسوء الأحوال السكنية الذي يعبر عن سوء الأحوال الاقتصادية ، ونقص إشباع حاجات الأحداث من غذاء ، وشراب ، وصحة ، ونوم ، وتعب. . . إلخ ، فيضطرون إلى الهرب إلى الشوارع والانحراف ، وأكدت الإحصائيات تزايد عدد الأحداث المنحرفين في الأحياء الفقيرة ، أكثر من الأحياء الغنية أو المرفهة .

وهذا واضح في بيئات مخيمات اللاجئين والمهجرين أو النازحين . ومع هذا قد يكون البطر والترف سبباً في الانحراف ، وبخاصة الانحراف الجنسي ، وتعاطي المخدرات والمسكرات ، وانتهاك حرمة المساكن ، كما هو ظاهر في بعض البلدان العربية والخليجية .

جـ ـ سوء ظروف العمل والبطالة : قد ينحرف الأحداث إذا عملوا في مهن أو حرف لا تتفق مع قدراتهم الجسمية ، أو مع الكبار الذين يتسببون في إفسادهم ، أو في ساعات العمل الليلي ، لذا أصدرت منظمة العمل الدولية الاتفاقية رقم (٧٩) لمنع العمل الليلي للأحداث ، لأن طبيعة هذا العمل وطول ساعات العمل يؤدي إلى إتعاب الأحداث وإلى انزلاقهم تدريجاً ، وتورطهم في بؤر الانحراف ومستنقعاته .

وكذلك البطالة ، وفقدان وسائل شغل وقت الأحداث ، وصعوبات الأحوال المعيشية في بعض البلاد ، ولاسيما الإفريقية والآسيوية ، تؤدي بالأحداث إلى اللجوء إلى دور اللهو والسينما وأوكار المهربين ، ومدمني المخدرات ، وبيئات المنحرفين ، ولا يجدون الخدمات التي توفرها الدولة كافية ، كالمراكز الثقافية والرياضية والصحية والرعاية الاجتماعية .

د ـ الحركة الصناعية : يكثر الانحراف عادة بين الأحداث الذين هجروا قراهم ، وأتوا إلى المدن ، وأماكن المصانع والمعامل ، بحثاً عن الرزق ، في معظم الدول العربية والإسلامية . وقد دلت الدراسات الاجتماعية أن نسبة كبيرة

من مرتكبي الجرائم في المدن هم في الأصل من الريف ، قدِموا للعمل في المدن ، فلم تتوافر لهم أسباب العيش الكريم ، وأن نسبة المنحرفين في الأحياء المجاورة للمصانع والمعامل كبيرةٌ ، ففي حيّ عادي تكون النسبة ١٠٪ ، بينما في الأحياء القريبة من المعامل تبلغ ٢٥٪ .

خامساً ـ العوامل السياسية والعسكرية :

ظهرت في الآونة الأخيرة في النصف الثاني من القرن العشرين هزات سياسية وعسكرية عنيفة ، أدت إلى الاعتقال ، والسجن الطويل الأمد ، والتشريد ، والتهجير ، فتمزقت الأسرة وتشتت أفرادها ، وربما عاشت الأسرة الواحدة في ثلاث أو أربع دول ، مما أدى إلى صعوبة معيشة الأحداث في هذا الجو من التمزق والخوف والقلق .

وقامت بعض التنظيمات العسكرية أو الحزبية بتجنيد الشباب قبل البلوغ والرشد ، وهذا ممنوع في الشريعة والقوانين ، ففي الشريعة لا يسمح للصغير أو الحدث قبل البلوغ بالجهاد لضعف الجسم ، قال ابن عمر : « عُرضت على رسول الله ﷺ يوم أُحد ، وأنا ابن أربع عشرة سنة ، فلم

يجزني في المقاتلة ، وعُرضت يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني »[1] .

وكثرت حوادث قتل الصغار والكبار في الحروب الداخلية ، بسبب العنصرية أو القومية أو الاضطهادات الدينية أو الدفاع عن حرمة الوطن وتقرير حق المصير ، مثل أحداث ومجازر البوسنة والهرسك والشيشان ولبنان وفلسطين ، حيث قتل الأحداث ، والصغار ، وشرّد كثير منهم ، وتلقفتهم المراكز والمؤسسات الصهيونية أو الصليبية ، ونقلوا إلى بعض البلاد الأوربية والأمريكية ، ومنعوا من التجمع في أماكن واحدة ، مع عِلْم الأمم المتحدة بذلك ، وتبين أن القصد من أخذ الأحداث من بلاد الإسلام إنما هو من أجل تنصيرهم ، وقطع صلتهم بأمتهم .

وأدت هذه العوامل إلى تفشي الظواهر التالية في الأحداث والمراهقين : وهي ظاهرة التدخين ، والعادة السرية ، وتناول المسكرات والمخدرات ، والزنا واللواط ، وما يعقبها من

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، وفي رواية ابن حبان وابن خزيمة بزيادة : « فلم يجزني ولم يرني بلغت » .

أضرار خطيرة صحية ونفسية واجتماعية ومالية[1] .

المطلب الثاني ـ حماية الأحداث في القرن الحادي والعشرين من منظور إسلامي :

تتطلب حماية الأحداث في المستقبل القريب من زاوية الفكر والعمل الإسلامي المبرمج اتخاذ أسلوبين ضروريين : الأول علاجي ، والآخر وقائي .

أما أسلوب العلاج : فيكون بقيام لجان اجتماعية متخصصة ومتعددة بدراسة أحوال الأحداث في كل بلد إسلامي أو عربي ، على حدة ، والمبادرة لتقديم التقارير الوافية المؤيدة بالإحصاءات والدراسات والتحليلات والاقتراحات العملية الناجعة ، لتفادي كل المشكلات ، والوقوف في وجه التحديات الخارجية والداخلية ، ومعاملة الأحداث معاملة رحيمة وخيِّرة وهادئة ، واستئصال كل أو معظم أسباب الجنوح والانحراف ، والحد من تأثيراته ،

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام للأستاذ عبد الله علوان ١/ ٢١٤ وما بعدها .

بأقصى قدر ممكن ، لأن الأمراض الفتاكة يجب التخلص منها ببذل أقصى الطاقات لحماية بقية الأحداث من الإصابة بأدواء المنحرفين ، وتجنب أخطار إصاباتهم .

ولابد من اتخاذ قرارات حاسمة في هذا الشأن ، على مستوى اللجان الوزارية التابعة مباشرة لرئاسة الوزراء ، واتخاذ ما يلزم ، وإعداد ما يفيد على المدى القريب والبعيد .

ويمكن بكل اعتزاز وثقة الاستفادة من التجارب الإسلامية في مراحل التاريخ ، لحل المشكلات وتجاوز الأزمات ، ومن أهمها كيفية علاج النَّبي ﷺ لأمراض المجتمع الجاهلي ، واجتذاب الشباب بالحكمة والإقناع والموعظة الحسنة ، للتخلي عن العقائد الموروثة ، والأخلاق المرذولة ، والعادات العربية الجاهلية الضارة ، ثم الاعتماد على سياسة تطويق الفتنة ، وتجاوز آثار الحروب والمعارك الطاحنة ، والانقسامات الداخلية ، ومواجهة تيارات التحدي الخارجي والداخلي ، والإعتماد على الثقة بالنفس أو الذات ، ومحاربة كل ألوان الفساد والمنكرات ، والبعد عن كل ثقافة غربية أو شرقية ، أو عادات وتقاليد ومباذل اصطلح

عليها ، غير أنها غريبة عن التوجهات الشرعية ، فإن مبنى الشريعة على التزام الحلال المباح ، وأداء الواجبات والفرائض ، ومقاومة ألوان الحرام أو المحظور في شرعة الله في قرآنه ووحيه .

وأساليب حماية الأحداث في المستقبل ما يلي :

١ـ إحياء نظام الوقف الخيري والتشجيع عليه ، فإنه بوجود المؤسسات الوقفية يمكن تطويق كثير من حالات انحراف الأحداث وجنوحهم ، بتشغيلهم في مراكز حرفية وقفية ، وإيجاد مراكز ثقافية كثيرة ومتنوعة في مستوى الأحداث ، والإكثار من الأندية الرياضية المجانية ذات المخطط الهادف والشاغل والمفيد ، وفتح دور الرعاية الصحية والاجتماعية في أحياء المدن وفي الأرياف لبحث حالات المشردين والجانحين وعلاج أوضاعهم ، ومتابعة أحوالهم حتى يتأهلوا لممارسة منهاج الحياة القويمة ، وضمان المستوى المعيشي اللائق لهم .

٢ـ محاربة الفقر وحل مشكلة الفقراء : فإن الإسلام قرر بتشريعه العادل أسس الحياة الكريمة لكل إنسان ، ووفر لكل فرد صغير أو كبير أو عاجز أو مسنّ الحد الأدنى من مسكن

ومطعم وكساء ، ورسم للمجتمع المسلم المناهج العملية للقضاء على الفقر نهائياً ، كتأمين سبل العمل ، وإجراء مرتبات شهرية من بيت المال لكل عاجز ، ومنح تعويض عائلي لكل رب أسرة ، إلى أن تزول أسباب الجريمة والتشرد والضياع ، ويقضى على كل مظاهر الفقر والبؤس والحرمان .

وذلك بطريق تنظيم جباية الزكاة أو جمعها ، وصرفها أو توزيعها على المستحقين الفعليين بإشراف الحكومات أو الجمعيات الموثوقة ، والترغيب في الصدقات ، وإيجاد المبرّات ومؤسسات الرعاية الاجتماعية كرعاية المسنين والعجزة والذي لا عائل لهم .

٣ـ العناية بأوضاع الأسرة ودراسة أسباب تفككها وتشرد الأحداث ، ومدّ يد العون لهم من أغنياء المسلمين وجمعيات البر والإحسان ، وفرض الأعطيات والمنح الدورية الدائمة لأولاد العمال والموظفين متوسطي الدخل ، والعاطلين عن العمل ، إلى أن يتوافر لهم الدخل الشهري المعقول ، وكذلك الأيتام الذين فقدوا عائلهم إلى أن يتربّوا ويكبروا ، وقد نص علماؤنا على فرض الأرزاق والأعطيات ، وبخاصة لطلاب العلم ، وعلى أنه إذا مات صاحب العطاء ، لم يسقط الحق

فيه ، بل يصرف ويُعطى لأولاده من بعده[1] .

٤ـ إيجاد مراكز الرعاية الاجتماعية لدراسة أحوال الأحداث وإحصاء كل ما يطرأ على أوضاع الأسر المنكوبة ، ورفدهم بمخصصات دائمة من ريع الأوقاف والتبرعات ، ومتابعة تحصيل الأولاد العلوم الضرورية ، ومحو الأمية والجهل ، وتيسير سبل الحياة الكريمة للمحتاجين والبؤساء ، وعلاج المرضى في المراكز الصحية ، ورعاية الدولة اللقطاء ، والقيام بأمورهم ، وكفالة مواردهم ، كما فعل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حين جاءه رجل بلقيط ، فقال له : « نفقته علينا وهو حر » .

٥ـ تنفيذ ما قرره الإسلام من تحقيق التكافل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء ، بأسلوب عملي ، عن طريق إيجاد صناديق تحمل هذا الاسم ، وإشراف لجنة متابعة لها ، تجبي أموال الصدقات ، ويتمّ تنظيم صرفها للأسر المحتاجة ورعاية الأحداث فيها .

---

(١) حاشية ابن عابدين ، باب المستأمن ، مطلب في مصارف بيت المال ٣/ ٢٨٠ـ٢٨١ .

كما لابد من تخصيص رواتب دائمة من الدولة لكل فئات المجتمع البائية ، والتركيز على بحث ومتابعة أحوال الأحداث في تربيتهم وتعليمهم وتشغيلهم ، حتى نطمئن إلى صيرورة كل حدث في وضع مادي وإنساني ومعنوي مقبول .

٦ـ التزام وسائل الإعلام ووسائل الاتصال باحترام كل فضيلة وأدب وخلق يدعو إليه الإسلام ، ومنع نشر كل ما يتصادم مع مبادىء الإسلام وأحكامه وشرائعه وعقائده وسلوكياته ، وسد كل منافذ الغزو الفكري الصهيوني والأجنبي المؤثرة في عقول الكبار والصغار ، كالأجهزة اللاقطة ، والأنظمة الحديثة ، وكل ما تبثه أجهزة التلفاز من مسلسلات وأفلام تمس الخلق والدين ، من طريق ما يسمى بتشفير محطات الإرسال ، وضابط الرقابة ليس بحسب أذواق الإعلاميين غير الملتزمين ، وإنما بحسب ضوابط أهل الحكمة والعلم والفضيلة من الشرعيين المتفتحة أذهانهم ، الذين لا يضيقون بكل معروض ، ولا يقرّون كل آتٍ من الغرب أو من بعض البلاد العربية ، أو الدول المجاورة ، والوسيطة في المنطقة العربية .

وهذا يستتبع أيضاً الوقوف بحزم أمام حملات التبشير

والمخططات الصهيونية ، سواء في البلاد الإسلامية والعربية والإفريقية .

وفي الجملة : إن مشكلة الأحداث في عصرنا وفي القرن القادم كغيرها من مشكلات التخلف في بلدان العالم النامي ، لابد فيها من التخطيط والحزم ، وتبيُّن طرق الرشد والهداية ، والعودة إلى شرع الله ودينه ، وتجنب كل أسباب الغي والضلال ، والتزام خطة الوعي واليقظة والثقة بالنفس ، والاعتماد على الذات ، والتخلي عن الارتماء في أحضان الغير ، وترك أسلوب نسبة ما نعانيه من عيوب إلى الآخرين ، فإن العيب فينا في الدرجة الأولى ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وقد صلح أولها بالإسلام جهاداً وتضحية وعطاء وتماسكاً ، وتكافلاً ، ورعاية ، وسخاء ، وتمسكاً بفرائض الدين المالية والاجتماعية .

* * *

ملخص البحث

لابد من التفكير الجدي والعملي في قضايا الأحداث وحل مشكلاتهم سواء فيما يعانونه الآن وما أفرزته سنوات النصف الثاني من القرن العشرين من تعقيدات ، أم فيما ينتظرهم من مضاعفة المشكلات في بحر القرن الحادي والعشرين .

وذلك لأن الأحداث في مرحلة التمييز والبلوغ والرشد يمرون بأخطر مراحل الحياة ، لأنهم يكونون على حافة أو مفترق الطرق ، فهم إما أن يكونوا في أمان واستقامة واطمئنان ، وإما أن يعيشوا في مخاوف وقلاقل ، وانحراف واضطراب ، فيصبحوا عالة على المجتمع ، بل وخطراً على كل المستويات ، بدءاً من الأسرة ، فإلى البيئة الاجتماعية ، ثم إلى الأمة والدولة .

ويحتاج الأحداث في طور الحداثة إلى بناء شخصياتهم

بناء متكاملاً من النواحي المادية والمعنوية ، يعتمد على تقويم الاعتقاد وسلامة الدين والخلق ، والنفس والعاطفة ، والنضج العقلي والفكري والعلمي ، وقوة الجسم والصحة ، وانسجام التصورات واعتدال النظرة ، والقدرة على التغلب على المشكلات أو الأزمات الطارئة .

ويبدأ التصحيح من نطاق الأسرة ، ويكتمل في المدرسة والوسط المعيشي في المزرعة والمعمل والمتجر ، وينتهي في أحضان الدولة التي لا تألو جهداً في التخطيط ورسم السياسات الاجتماعية ، والرقابة والحزم ، والرعاية والعطاء ، والتأديب والعلاج ، ولا يكفي ما تقوم به منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) من الإسهام في إنقاذ الأطفال والأحداث من خطر الموت جوعاً وعرياً ومرضاً ، بسبب الكوارث والحروب الداخلية ، وإنما لابد من اتخاذ المواقف الإيجابية لبناء شخصية الحدث على النحو المذكور آنفاً ديناً وخلقاً وسلوكاً ، ووقاية الأحداث قبل الوقوع في الأزمات ، ورعاية أحوال المنحرفين والجانحين والمتخلفين في الأرياف ، والمدن ، والمخيمات ، والمعسكرات ، والشوارع ، لمكافحة كل ما يؤثر في كرامة الأحداث أو يؤدي

إلى استغلالهم ومهانتهم وسوء تشغيلهم والإساءة إليهم بألوان الإساءات المعروفة ، ومضايقتهم حتى يضطروا إلى هجر الوطن والمنزل ، أو التشرد ، والبحث عن موارد الكسب ، فتتصيدهم الأيدي الآثمة ، ويقعون في حبائل وشراك أوكار عصابات الانحراف والمخدرات والمسكرات ، والسرقات ، والاعتداء على الأعراض والكرامات .

إن المسؤولية الكبرى في رعاية الأحداث تشمل كل ذي موقع له دور فيها ، سواء الآباء والأمهات ، والمعلمون والموجهون ، وأصحاب الثروة ، وذوو السلطة والحكم والنفوذ من رجالات الدولة ، انطلاقاً من صراحة الحديث النبوي : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته . . » .

وأسباب الانحراف لدى الأحداث كثيرة أهمها : العوامل الاجتماعية من انحاف البيئة ورفاق السوء ، وشذوذ بعض الكبار ، وسوء استغلال أوقات الفراغ ، والعوامل الأسرية من تفكك ، وتهدم بالطلاق ، أو تعدد الزوجات غير الملتزم بضوابط الشريعة ، وسوء تربية ، وانحلال خلقي ، وقسوة الأب واهتمامه بأهوائه فقط ، وفقدِ الوالدين أو أحدهما ، وغيبة الوالد عن أسرته مدة طويلة أو اغترابه ، وهجر

الـزوجـة ، وإهمـال تعليـم الأولاد ، والعـوامـل الثقـافيـة والإعلامية التي تعنى في الغالب بالعلوم النظرية والتطبيقية والاجتماعية ، والقضايا السياسية والمشكلات الوطنية أكثر بكثير مـن عنـايتهـا بـإرشـاد الـديـن ، وتـوجيهـات الفضيلـة والأخلاق ، وتهمل إيجاد الرقيب الداخلي في الحدث وغيره للإقبال على ما يهذب النفس من عقيدة وعبادة ، وترك كل ما يضر بالنفس والمجتمع والدولة ، فنشأ جيل متفلت من القيم في الغالب ، وعنيت وسائل الإعلام بالأخبار والقضايا الماسّة بالمعيشة ومستقبل الأمة نظرياً ، وأهملت كل مقومات الدين والأخلاق والعبادة والتهذيب .

ومن أهم أسباب انحراف الأحداث : العوامل الاقتصادية من فقر وبؤس وحرمان ، وسوء الأحوال السكنية ، وظروف العمل ، وانتشار البطالة ، ومجاورة المصانع والمعامل حرصاً علـى الكسـب والـرزق ، وبَتْـر الصلـة بـالمـوطـن والأسـرة والمجتمع ودروسه وثقافته ، والغربة عن الدين والموجهين والمعلمين الأمناء الغيورين . وقد بلغت نسبة المنحرفين في بعض عواصم الدول العربية بسبب الفقر والحرمان ٧٢,٧٪ بالنسبة لباقي عوامل الانحراف الأخرى .

ومن العوامل الجانبية : سوء السياسة والتخطيط ، والمعسكرات القيادية والحزبية والفئوية التي تستغل الصغار لتشغيلهم في الصراعات والمجالات المسلحة الضارة وغير النافعة ، والتي ربما تمتد بجذور تكوينها وإمداداتها لقوى خارجية ، وخدمة مآرب استعمارية وصهيونية .

وقد أدت هذه العوامل مجتمعة أو منفردة إلى تفشي ظواهر التدخين ، والعادة السرية ، وتعاطي المخدرات والمسكرات ، والانحراف الجنسي ، والعلاقات غير المشروعة بسبب الترويج لعادات الغرب وتقاليدهم .

وأمام هذه الظواهر ، ومن أجل تفادي مشكلات تمس الأحداث وغيرهم في المستقبل ، ولاسيما في مطلع القرن الحادي والعشرين ، لابد من اتخاذ أسلوب العلاج للواقع المرّ المؤلم ، والوقاية من أخطار المستقبل التي ربما تتفاقم آثارها ، ويتولد عنها تعقيدات كثيرة ، وإن لم نبادر للقيام بدراسات وإحصاءات عملية ، ونقف بحزم أمام التحديات الخارجية والداخلية ، ونعامل الأحداث معاملة برّة رحيمة مستمدة من تعاليم الإسلام السمحة ، وتوجيهاته الرشيدة في بناء العقيدة ، والتحصن بحصن التربية الفاضلة ، وتجنيب

الأحداث كل أسباب وعوامل الانحراف ، والعمل على محاربة الفقر ، وحل مشكلة الفقراء بالزكوات والمبرات وغيرها ، وإحياء نظام الوقف الخيري الدائم الغلة أو المورد ، لصرفها في تحسين الأوضاع المعيشية والتنموية والتثقيفية والتربوية والصحية والاجتماعية ، والعناية بأوضاع الأسرة وحزم أبنائها ، وإنهاء البطالة أو تقليلها ، وإيجاد المراكز الاجتماعية في كل مكان في الريف والمدينة ، وتنفيذ برامج الإسلام ، في تحقيق أصول التكافل الاجتماعي .

* * *

المحتوى

تقديم ٥
معنى الحداثة وأسباب رعاية الأحداث ٦
مشكلات الأحداث المعاصرة ٩
أسباب انحراف الأحداث في النصف الثاني من القرن
العشرين ١١
العوامل الاجتماعيَّة ١١
العوامل الأُسريَّة ١٣
العوامل الثقافيَّة والإعلاميَّة ١٤
العوامل الاقتصاديَّة ١٦
العوامل السياسيَّة والعسكريَّة ٢٠
حماية الأحداث في القرن الحادي والعشرين من منظور
إسلامي ٢٢
ملخَّص البحث ٢٩
المحتوى ٣٥